

يحمل قدره القاسي معه ، ذلك القدر الذي تبعته فينا تلك التساؤلات في نهاية المقطع .
بالرغم من استعطاء الشاعر

« اعطنا حبا ، نبالحب ككوز الخير فينا نتنجر »

ولكن هذا الآتي والذي سيكون « ضميرا غائبا » لا يتضح ، يحمل بين يديه غموضه
وقسوته معا . وسيظل « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له . الى ان يتجسد ،
بعد « حزيان » ، وفاجعته الواقعية الملموسة في « الفدائي الفلسطيني » . وليس من
السهل ان يتضح هذا « الفدائي » أمامنا ، نافضا عنه كل ذلك التراث من وهمة « ضمير
الغائب » الذي لا وجود له . نستبقى صورته مهزوزة ومائعة ، الا في بعض ما كتبه
فدوى طوقان ، وخاصة قصيدتها « حمزة » .

صورة « ضمير الغائب » الذي كان « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له .
تحدثنا الشاعر عنه بهذه الطريقة الواضحة :

« كان وهما ، نحن اعطيناه شكلا وحياء

ثم رويناه لونا وعبير

وعشقناه ، عشقنا وهما الغالي الغريب

...

فترة ثم تلاشى ذات ليلة» (١٥)

وقد يتضح هذا « الضمير » قليلا . ولكن الشاعر تأبى الا ان تبقية حلما وطيفا ، ليكون
مؤهلا ان يتلاشى ، تقول في قصيدة « نسيان » (١٦)

« احقا حبيبك يوما ؟ وكيف ؟

ام كنت طيفا بحلم مبر

وهب كنت طيفا تمسقته

بكيف تلاشى الهوى واندر .»

ونحن نعرف دون شك ، ان حب الطيف يملك نفس قدرة الطيف على التلاشي . وفي
قصيدة « في الكون المسحور » (١٧) تتيح الشاعر لخيالها ان يرى وهي في نزهة قمرية ،
انسانا يحدثها ، فتجد في عينيه « شموسا تتحرق ، ونجوما تتالق » ولكن نجاة :

« ماذا ؟

الحلم تظلت من عيني ، هنا عادت حولي

الغرفة تقبع والجدران هنا وفراغ منظور

انهد الكون المسحور

منهارا في قلب الليل »

يبقى الطموح لدى الشاعر فدوى طوقان طموحا خائبا . والتوق الى الحب ، لا يملك
الا مقدرة على الاختلاق والوهم . وتلك الخيبة وهذا الاختلاق يتحدثان ، لتشويه صورة
الواقع ، او للمبالغة في الاحساس بظلماته . فهي تجيب صديقا يفتحها بحبه ، قائلة :

« تجني ؟

لا ، ردها» (١٨)

ولا ترتضي منه الا بوده الكبير الذي تحتفي بظله الامين في دربها الطويل ، لان من احبها
قد مات :

١٧ - وجهتها ، ص ٦٢ .

١٨ - أمام الباب المغلق ، ص ٨٥ .

١٥ - المصدر السابق ، ص ٢١ .

١٦ - المصدر السابق ، ص ٢٦ .